

## افتعال الحكمة القصصية المعتمدة على المصادفة .

يجب أن يكون العمل القصصي مقنعا للقارئ ، حتى لا يخالجه شك في صدق العمل ، وهناك شروط كثيرة لابد للعمل من إحتوائه عليها ليأخذ سمة الصدق والاقناع في النهاية ، ومن أهم تلك الشروط عدم اعتماد البناء القصصي على المصادفة ، ففي اعتماد البناء على المصادفة في أكثر من جانب ، هذا من شأنه أن يخل بالعمل إخلالا مزريا ، ولا مانع أن تحدث المصادفة مرة أو مرتين أولشخصية أو شخصيتين ، أما أن تكون أساسا من الأسس التي يعتمد عليها البناء ، وتعتمد عليه تلك الوشائج والأواصر التي تربط بين الشخصيات ، فهذا لا يعتد به ، لأن القارئ وهو بإزاء تلك المصادفات يبادر إلى ذهنه سؤال : ماذا لو لم تحدث تلك المصادفة ؟ !

وهناك مصادفة مبررة أو مقنعة ، كأن يتقابل شخصان يعملان في مكان واحد ، وتنشأ بينهما علاقة من نوع ما ، أو يتقابل شخصان متقاربان في مزاجهما ويتم اللقاء في مكتبة عامة مثلا ، أو معرض للكتب أو التصوير ، أو ندوة أدبية أو في أي محفل من محافل الثقافة .

أما المصادفة غير المبررة ، كأن يتقابل شخصان ليس بينهما أي سابق معرفة وليس متقاربان في الطباع أو مشتركان في الميول ولا في وجهات النظر ولا أي شيء من هذا القبيل ، ثم يحدث بينهما تعارف وعلاقة قوية الأواصر ، فهذا يجافي المنطق أو يتعارض مع أساس من أسس البناء القصصي .

والبناء في ( ثلاثة رجال وامرأة ) و ( ميدو وشركاه ) يعتمد على المصادفة من النوع الثاني ، فمعرفة ( حلیم ) و ( عياد شركسي ) وابنته ( محاسن ) تمت مصادفة كما يقول الأستاذ ( حلیم ) في صفحة ( ٥٢ ) : كنت سائرا في الطريق وعيني على الأرض ، واذا بكف تلممني ، ولم يكذب يعتمد ذلك لكنه - كما تبينت - كان يتحدث ويلوح بيده فأصابني كفه ، وأسرف في الاعتذار كما كان يسرف في التلويح بذراعيه ، وأبى أن يسقيني شايًا في مقهى وهكذا عرفتك أنت ( ومعرفة محمود وسميرة تمت هي الأخرى مصادفة أثناء جلوس محمود - ناسيا - تحت مظلة سميرة على الشاطئ . وحينما نبهته لذلك ، هم بالانصراف ولكنها استبقته بحجة أنها حولها شباب يتحرشون بها .

والأغرب من هذا . أن بعد حدوث القطيعة بين سميرة ومحمود ، تذهب سميرة لتتزوج ناظر الزراعة كيدا في محمود ، وبعد ذلك يحدث لقاء بين ناظر الزراعة هذا ( حمدي الديناري ) ومحاسن في ديوان من دواوين القطار ، وحينما تراه محاسن تشعر بالحب فجأة تجاه حمدي ، ويتوطد الحب وينمو ، وبعد أن يكاشفها حمدي بأنه متزوج من امرأة أغنى منه والعصمة في يدها ، تتغاضى عن ذلك وتوافق على الزواج منه .

أما ما الذي جعل محاسن تركي القطار للسفر إلى الإسكندرية ؟ فالسبب واهن في الضعف ، وهوان ( نسيم بك ) طلب منها السفر إلى الإسكندرية لقضاء بضعة أيام للاستجمام ، وطبيعة الأمور تقتضي أن يسافر ( نسيم ) مع ( محاسن ) ولا سيما وأن ( نسيم ) قد أسدى إلى محاسن خدمات لا حصر لها ، وكانت قد شعرت بأن هناك شيء من الحب بدأ يشب في صدرها ناحية ( نسيم ) أما

ما الذي جعل ( حمدي الديناري ) يترك زراعته وزوجه ( سميرة ) ليسافر إلى الإسكندرية فلا ندري عن هذا شيئاً سوى أن المؤلف قام بهذا كي يوفق بين محاسن وحمدي . ثم يحدث لقاء صدفة بين سميرة ومحمود فيغحدي المراقص ، وهو أن يتعثر محمود في إحدى الدرجات ويغمر عليه فتسارع سميرة إليه ومعها ( نسيم ) أما كيف تم التعارف بين سميرة و( نسيم ) كي يصبحها إلى المرقص. فلا ندري عنه شيئاً هو الآخر، ويتم في النهاية زواج محمود وسميرة ن بعدما تم زواج محاسن وحمدي الديناري !!

كذلك في ( ميدو وشركاه ) ، فاللقاء بين ( ميدو ) والدكتورة سارة ، واللقاء بين شاكر وخيرية يتم مصادفة ، والعجب أن هذا اللقاء بين كل من الشخصيتين : ميدو وسارة وشاكر وخيرية يتم في مكان واحد ، والمصادفة تخلق أيضاً أن سارة أخت شاكر، وخيرية أخت ( ميدو ) ، والشخصيتان – ميدو وشاكر – زملاء في الوحدة العسكرية .

### المعادلة الصعبة في ( ثلاثة رجال وامرأة ) :

الشخصيات في ( ثلاثة رجال وامرأة ) قلقة مضطربة تبحث عن شيء ولا تدري عنه شيئاً . أو هي بإزاء لغز مستغلق عن فهمها ، ولغزها هذا هو وجودها وحينما تعجز عن الوصول لحل هذا اللغز تنبتعد عن الوجود ، حتى لا تشكل الشخصية مع وجودها معادلة صعبة ، فكيف يعادل الإنسان بينه وبين وجوده . إن الانسجام منعدم ، والتفاهم شبه مستحيل ن فكل ما حول الإنسان يعترض طريقه وإرادته . ويتحده أن يعيش وجوده باحثاً منقّباً منتظراً أن تسوق المصادفة له ما يتمنى . وإن لم يكن فعلية أن يحيا كيفما أتفق ، فهكذا هي الحياة !!

فالإنسان بداخله أحلام عن وجود مشرق وبكيانه من الإمكانيات والطاقات ما يجعل هذا الحلم حقيقة . ولكن هذا لا يحدث أبدا ، فلا الحلم تحقق ولا الطاقات التي بداخله تفجرت ، إنه وجود محنط ، يحمل كل أشكال الحياة الخارجية ولكنه ليس بحي . ساكن لا حركة به ولا حيوية ، يقول المازني واصفا الأسنان ( حلیم ) ، صفحة ( ١٠ ) : ( وهو رجل يتمثل فيه " نقص القادرين على التمام " كما يقرر بالطبيب . فقد كان محيط علم ، وكان اسمى علمه فهما نجيبا ، و ( لوداعيا يرى بأول ظن آخر الأمر من وراء الغيب ) ومع ذلك أبى أن يكون أستاذا في الجامعة وآثر الإخلاء إلى الراحة ، ولو شاء مع الراحة وخلو الذرع وانفساح الوقت لجا الناس بجناح طيبة وشاريانة من شجرة علمه المحال ن ولكنه ترك الخلفة والحق من شرها يهدم في موضعه ولا يدري أو ينتفع به الناس . وكان ماله كافيا للسعة والخفض ونعيم البال ، ولكنه كان يعيش عيشة الشظف والضيق كأنه مخفق مخفف من المال أو مسكين ، وكان أخوف ما يخاف الفقر والحاجة ، فهو يضيق على نفسه وأهله خشية الضيق ) .

فمؤهلات الأستاذ ( حلیم ) العلمية تؤهله أن يكون أستاذا في الجامعة ولكنه فضل الراحة ، مع طول إطلاعه وكثرة قراءاته ، إذن أين الراحة هنا ؟ ولكن دائما الأمور مقلوبة ، وهو في سعة ولكنه يعيش عيشة الشظف خشية الفقر ، كل مواصفات الوجود الحق موجودة ، ولكن لا انتفاع بالوجود ولا بالحياة .

وعلاقة ( حلیم ) بزوجته تروحي بعدم نضجها جنسيا ، وإن كنا لا ندري كيف تم له معرفة ذلك ، فقد أغفل المؤلف ذكر ذلك ، ربما مجارة للذوق العام في ذلك الوقت . أن لا يسهب المؤلف في مثل تلك الأمور ، صفحة ( ١٠ ) : ( وقال لها حلیم

لما انفض الجمع داخلها بها ( إنك ما زلت طفلة ، وسيكون عليك أن تعرفي الحياة وتفهمي معناها ، وأنه ليسرني أنني سأكون معك ) فأحسست أن هذا تأنيب ، فكأنه قال لها انه وجدها دون ما كان يتمثل ، ومن أجل هذا يتكلف هذا التعليل لما تبينه من النقص ، ولعل الأرجح أنه لم يكن يدرك - ولا هي أيضا - أنها غير ناضجة من الوجه الجنسية ، وكان شعورها بنقص ما فيها يرسم على وجهها حتى لقد قال لها بعد يومين من زواجهما ، ( ألا تستطيعين أن تبترسي لزوجك ؟ اتذكرني ؟ أنني الرجل الذي شرفته بأن تكوني امرأته ) .

ومع وجود هذا النقص في زوجها إلا أنها تنجب ولداً ، ولكن بعد ذلك تأخذ عليه عهدا بالأل يعاشرها جنسيا ؛ لأنها لا تريد الإنجاب مرة أخرى ، فيحاول إقناعها بأن من الممكن المعاشرة بدون أن يسبب ذلك حملا ، ولكنها أبت ، ورضى الأستاذ ( حليم ) بهذا الوضع الغريب والشاذ .

أما السبب الذي حدى بالزوجة إلى تلك المقاطعة ، فإننا نجهله ، وإذا عرضنا حجة أنها غير ناضجة جنسيا فتلك الحجة باطلة ، فهي أنثى من قمة رأسها إلى أخمص قدميها . بدليل أنها أنجبت ، فإذا ما ثبتت تلك الصفة عليها - أنها أنثى - فهي لا تستطيع الابتعاد عن الرجل إلا بشق الأنفس ، لا سيما وهو زوجها وأمامها ليل نهار ، ثم من قال أن غير الناضجة تكره الجنس هذا الكره العارم فكل ما في الأمر أنها لا تستطيع أن تأخذ القسط الوافر من المتعة ، فهي تصاب بخيبة أمل ، وهذا لا يمنعها من المحاولة مرة أخرى ، إن لم يكن من أجلها فمن أجل حق الزوج على زوجته .

فتبيري هذا التصرف الذي صدر من ( سميحة ) زوج ( حلیم ) لا يستند  
لا على أساس نفسي ، ولا على أساس ( بيولوجي ) ، فصحتها النفسية والعضوية  
على ما يرام وطبيعية للغاية .

ولكن كيف يرضى ( حلیم ) بهذا الوضع ؟

فإن احتمله نفسيا ، فلن يستطيع - على المدى الطويل - احتمالته جسديا  
لاسيما وأن زوجته أمامه ليل نهار ، وإن ما يطالب به حق له على زوجته ، إلا أنه  
رضى بهذا الوضع الشاذ وسكن له ( ١٣ ) : ( من ذلك اليوم صار الأستاذ ( حلیم )  
كأنه مقيم في فندق لا يربطه بمن فيه غيره سوى الجوار ، وفقد لفظ الأسرة معناه  
والزواج مدلوله ، وانطوى الرجل على نفسه ، ولاذ بمكتبته ، وانزوى فيها ، ولم يقصر  
في منشدة سميحة أن تفي إلى القصد ، وأن يفهمها أن إتقاء الحمل لا يقتضي هذا  
الذي هو فراق في حقيقته ، ولا يمنع ان يعيشا زوجين ، وإن كان لا محيد عن الحذر  
واتخاذ ما يشير به الطبيب من الحيطة الواقية . غير أنها أبت كل الإباء أن تكون  
له أكثر من جارة ، فقطع الأمل وأضر اليأس ، وصار يشتم ولا يدوق ، ويشتهي  
ولا ينتهي له اشتها ، ويجزع على الحرمان ، ويضنيه جهد التصبر والتجلد ولا يجد  
السلوة وطيب النفس عن الزوجة العصية إلا بالخيال يلجأ إليه ، والكتاب بين يديه  
أو على ركبتيه ) .

( ٦٠ ) : ( فيزوده ويغني خياله بصور ما يتلطف عليه من المتع التي فاتته بعد  
أن ذاقها واستطابها واعتض ذلك مما حرمه ، على إغراقه في الرغبة فيه والطلب له  
حتى صار ذلك له عادة ودينا ) .

وخرج ( حلیم ) من هذا المأزق ، أو أخرج الكاتب شخصيته من تلك الأزمة بأن جعل منه وجوداً متكاملًا ، وليس وجوداً منقسمًا بين ذكر وأنثى ، فكيفانه مكون من جزء ذكري وآخر أنثوي ، وإذا ما اشتهد الذكر الأنثى ، فهي موجودة معه في كيانه يقضى منها وطره ، فهو ليس في حاجة إلى أنثى خارجية عنه ، أو مستقلة عنه .

فهو - حلیم - يريد أن يحتوي كيانه على كل مقومات السعادة والمتعة كي لا يشعر بفقدان تلك السعادة في حالة غيبة أو فقدان المصدر الطبيعي . ( ١٦ ) : ( كان يرى نفسه في منامه يلتقي بأنثى على صورته هو ، وكانت تشبهه في كل شيء إلا في الدمامة وفيما يتميز به رجل من امرأة ، فكأنها العنصر الأنثوي الذي لا يخلو منه كيان رجل قد انتزع وتجدد شرا ، وكان الأستاذ ( حلیم ) قد آخى بذلك إنسانين - واحدًا مكتملاً يجتمع فيه ويتسق عنصر الذكورة والأنوثة على نسبة ما في اليقظة ، وواحدًا ينشط في المنام شطرين منفصلين ، ذكر وأنثى ، متحابين متواصلين متراضيين متوافقين على الاستغناء بنفسيهما عما عز مطلبه في حياة اليقظة ن وثقلت عليهما وطأة حرمانه ، فلا حاجة به بعد ذلك إلى تألف النافرة منه ، أو مراجعة المسكة عنه ) .

وتأمل معي آخر فقرة ( فلا حاجة به بعد ..... ) فلا تدري أبذلك ينتصر على وجوده الذي لا يستطيع تحقيقهم خلال اتصاله الجنسي بزوجه ، أم هو ضعف من أن يجاهد ويصارع مع أي امرأة سواء كانت زوجته أو غيرها ، كي يرضي غريزته ويجد لشهوته مصرفًا ، فأقنع نفسه بتلك الطريقة التي لا تخلو من غرابة وشذوذ وهوان يتكيف مع وجوده ويحاول أن يكون موجودًا متكاملًا ، لأنه في اعتماده على

موجود آخر ليسد نقصه ويحقق سعادته ومتعته ، هذا يعد في نظره نقصا ، فليسد هذا النقص ويملاً هذا الفراغ بدون الالتجاء إلى ( المرأة ) .

ولكن هذا الوضع لم يرح الأستاذ ( حلیم ) فهو يعتقد أن الإنسان مكون من عنصرين ، الذكورة والأنوثة ، وأن عنصر الذكورة يسيطر على عنصر الأنوثة ، ويمتزج العنصران مكونان عنصراً واحداً ، يمثل كيان الرجل ، أما في حالته فالعنصران منقسمان على نفسيهما ، وكل منهما مستقل عن الآخر ، وخشى أن يؤثر هذا عليه لأن هذا في حد ذاته نوع من التصدع ، خشى منه على نفسه ، فهداه تفكيره إلى سلوك الطريق الصحيح – في رأيه – وهو أن يتصل بامرأة أخرى غير زوجته ، بدلا من هذا الوضع الشاذ الذي يسلكه .

ونجد هنا المعادلة الصعبة ، كيف يوفق حلیم بين وضعه مع زوجته وبين متطلبات جسده كرجل ، وهو لا يريد التزوج بأخرى ، ولا يريد ان يلجأ إلى بائعات الهوى ، إذن كيف للرجل أن يصرف شهوته ؟!

لقد قيد المازني شخصيته بالحبال وألقاه في البحر ، وطلب منه محاولة النجاة . وكان تصرف حلیم المنطقي – من وجهة نظره – أن يبحث في كيانه عما يسد به هذا النقص الحادث في كيانه ... ومثله في ذلك كمن يقطع جلد جسده ليجري عليه تجميل في جزء آخر من جسده .

وبحث ( حلیم ) فوجد محاسن ابنة ( عياد الشركسي ) وخطيبة محمود ووجد حلیم في محاسن ضالته المنشودة ، والذي طمأنها إليه وطمأنه إليها ، أنه كبير السن ، وأنها مازالت صغيرة ، ومن يراها سائرين يظنهما أبا وابنته . وحدث بينهما الكثير من القبلات ، والمداعبات ، فهذا يريحه مما يجد من ثقل وإلحاح

الغريزة المخنوقة ، وهي أيضا تجد راحة معه ، لأنها تنفس عما تجده من ضغط الغريزة عليها ، وظل الوضع هكذا إلى أن شعرت محاسن أنها لم تحض في شهرها وأسقط في يد حليم ، كيف حدث هذا ؟ ! وبعد لأي توصلنا إلى علاج لتلك الأزمة التي كانت ستقضي على حليم .. وإلى هنا ينتهي تصاعد الأحداث مع حليم أو يتوقف تأثير حليم في أحداث القصة .

وتبدأ الأحداث مع (محمود) خطيب محاسن ، فقد كان على علاقة مع شخصية أخرى قبل محاسن ، وكانت تلك الشخصية هي ( سميرة ) ، والتي يتعرف عليها ويوشك على إتمام زواجه بها ، غير أنه كان له آراء في مسألة الزواج فهو يؤمن ( ٢٤ ) : ( إن من المهانة أن يكون الزوج فقيراً وامرأته غنية ، وليس معنى هذا أن على المرأة الغنية أن تنزل عن مالها لبعها حتى يعتدل الميزان ، وإضا معناه أنه ليس مما يحفظ مروءة الرجل ويصون كرامته ان يتزوج امرأة لمالها . وقد يكون هذا رأياً عتيقاً ، ولكنه رأيه الذي يذهب إليه بدافع من إدراكه الخاص لمعنى الكرامة ) .

ويشاء قدره أن تكون سميرة هذه أعلى من مستواه الإجتماعي والمادي ويعارض والد محمود في زواجه من ( سميرة ) لغنى الفتاة من ناحية ، ومن ناحية تلهف الفتاة وقبولها لمحمود مع أنه عاطل وليس له من المؤهلات ما يجعل فتاة هذا شأنها من الغنى انتجري وراء محمود ، مع ان محمود كان يؤمن بأنه يجب ألا يتزوج بامرأة أغنى منه ، إلا أن الحب أوقعه في المحذور ، وكاشف محمود سميرة أن والديه لا يرضيان عن تلك الزيجة غير متكافئة الأطراف ، واستيقنت سميرة من ذلك حينما صادفت والدة محمود في المتجر ، وقالت سميرة لمحمود بعد ذلك لتعرف

رأيه ( ٤٠ ) : ( ليس يطيب لي أن أفسد ما بينك وبين أبويك ) إلا أن محمود سفه رأيها هذا ، وأثناء زيارته لها لم يجدها ، فسأل أمها فأخبرته أنها سافرت ، فعجب وسألها لم لم تمنعها فقالت ( ٤٢ ) ، ( يا حبيبي ماذا تريد ان أصنع ... إنه لا سلطان لي عليها ، وإن كنت أنا أمها ... وقد كنت أنت القادر على أن تمسكها ولكنك تركتها تطير ، بل حضضتها على الطيران ... هل تستطيع أن تقول لي لماذا يعرض أهلك في الزواج منها ؟ ولماذا ينفرون منها هذا النفور ؟ ودع أهلك ، لي أنت لماذا كنت تأبى كل هذا الإباء السخيف أن تدعها تنفق مليما ووهي معك ؟ أمن أجل أنك لست كفوًا لها في الثروة يجب أن تنزل هي عن كل ما ألفت وأن تروض نفسها على حياة الضنوكه إرضاء لك ؟ أليست هذه أنانية صارخة حمقاء ؟ كيف يمكن أن تعيشا معا راضين ناعمين إذا كنت تستكبر هذا الاستكبار المرالمتعب ؟ أي حياة تكون حياتها معك ما خير مآلها إذن ؟ ماذا تفيد منه ؟ وتجيئ تسألني أين هي ؟ ولماذا سافرت ؟ ضحرت يا سيدي طقت ... اتفلقنت ... أيقنت أن حياتها معك ستكون جحيما لها ولك ، ولأملك ولأبيك ، هل استرحت الآن ؟ هل فهمت يا غبي ، يا أعمى ، لشد ما خيبت أمني فيك ، أنا التي لم أزل أحتال حتى حسبتني ظفرت بك لها . لا حول ولا قوة إلا بالله ) .

وإن كانت طبيعة التكوين النفسي لمحمود تقتضي أن يكون هو البادئ يهجر سميرة ؛ لأن اتصاله وزواجه بها يتعارض وأرائه وأفكاره ، ولكن هو القلب وأحكامه التي لا تترك لأي شيء آخر معارضتها ، وتزوج سميرة ناظر الزراعة ، الذي يعمل في أملاكها ، ونعرف بعد ذلك أنه زواج صوري فقط ، فالعصمة بيد الزوجة ، وسميرة

وحمدي زوجان أمام الناس فقط ، ورضى حمدي بهذا لأنها أغنى منه بدرجات كبيرة .

ونلاحظ أن تصرف سميرة ليس مبرراً بالمرة ، ولم يكن هناك استعداد نفسي أو ذهني لما ستفعله ، فليس معنى أن والدي محمود يرغبان في زواجه من سميرة أن تذهب على الفور لتتزوج بآخر ، فتلك فجوة نشعر بها ولا نستطيع تجاوزها ، وإن أراد المؤلف لشخصيته في القصة أن تسلك هذا المسلك ، كان من الأجدر أن يعطي لولحة بسيطة عن علاقة سميرة بناظر الزراعة هذا ، حتى وإن كانت علاقة الخادم بسيدته لنقتنع بعد ذلك بما سيحدث .

وتدور الأحداث لتتصل محاسن( بنسيم بك ) تلك الشخصية الهلامية الفضفاضة التي لا تستطيع أن تضع لها ملامح إنسانية بالمرة ... فهو ليس شخصية تسد فراغا ، وإنما قل هو متكئا أو شيء هامشي لجأ إليه الكاتب ليساعده على أن يمتد بالأحداث ويتصرفات تلك الشخصيات مع الأحداث . ويعد أن تعمل محاسن لدى نسيم هذا وتظن أن هناك أطراف حب وأشباح غرام ، يطلب نسيم من محاسن أن تقضي أسبوعا بالإسكندرية ، منفردة بدون أن يصحبها ، مع أن منطلق الأحداث كان يقتضي أن يكون معها في هذه الرحلة ، ولكن كيف ذلك والكاتب منذ البداية قد رسم مسلك شخصياته ، فأراد من محاسن أن تسافر الإسكندرية مفردة كي تقابل ( حمدي الديناري ) ناظر الزراعة وزوج سميرة ، وتنشأ علاقة حب من أول نظرة من طرف محاسن ، حينما رأت حمدي في القطار لا شيء ، إلا لأنه من كان ترسمه في خيالها ، فهو الفارس الذي كانت تتمناه ، وتحبه محاسن حبا

جنونيا رغم أنه قص عليها قصته مع سميرة ، وأنه لا يملك حتى حق تطليقها ، ومع ذلك أصرت محاسن على حبها ورضيت على زواجه منها .

وكما ساققت المصادفة محاسن التي هي أصلا خطيبة محمود غلى حمدي الذي هو زوج سميرة ، تسوق المصادفة أيضا محمود خطيب محاسن إلي سميرة زوجة حمدي ، ويلتقي محمود وسميرة في ملهى ليلي ، وتنتهي القصة تلك النهاية الساذجة ، لنؤمن في النهاية بمبدأ المصادفة والقدر في الوجود .

وإن كان سعي كل تلك الشخصيات سعيا حثسثا عن وجودها لتحل تلك المعادلة الصعبة بين وجودها الذاتي والوجود الموضوعي حولها ، ويجعلها تسلك في سبيل ذلك تجارب كثيرة تبوء بالفشل في أكثر الأحيان إلى أن تكمل في النهاية بالنجاح والفوز ، وتحل المعادلة الصعبة .